دور القرآن في حفظ اللغة العربية

أحمد شيخ الدين*

اللغة العربية أوسع اللغات مدى، وأغزرهن مادة، وأوفاهن بالحاجة الحقيقية من معنى اللغة لكثرة أبنيتها، وتعدد صيغها، ومرونتها على الاشتقاق، وانفساحها من ذلك إلى ما يستغرق اللغات بجملتها. وهي كشأن سائر اللغات تنمو وتتطور، وتنهض وتنحط. وقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم إلى رسوله المصطفى في يوم كانت العربية في أعلى تفوقها، فلذلك اختار سبحانه العربية لغته لتكون وعاء لكلماته.

وقد مرت عليها من عهد نزول القرآن إلى يومنا هذا أدوار مختلفة بين علو ونزول، واتساع وانقباض، وحركة وجمود، وحضارة وبداوة، والقرآن في كل هذه الأدوار واقف في عليائه يطل على الجميع من سمائه، وهو يشع نورا وهداية، ويفيض عذوبة وجلالا، ويسيل رقة وجزالة، ويرف جدة وطلاوة.

فنزول القرآن يعينه على البقاء. ولكن كيف كان القرآن يلعب دوره في حفظ اللغة العربية عن الضياع. فها نبحث في هذا البحث المتواضع هذا الدور بالإيجاز.

---

* أحمد شيخ الدين، هو مدرس في قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية جاكرتا

فصائل اللغات واللغة العربية

قسم علماء فقه اللغة وفي مقدمته المستشرق شليجل (Schlegel) اللغات إلى ثلاثة فصائل:[1]

١- اللغات العازلة

وهي اللغات الغير المتصرفة ؛ فبنية الكلمات فيها لا تتغير ، وأصولها لا تلصق بها حروف زائدة لا قبلها ولا بعدها ، وليس بين أجزاء تراكيبها روابط وصلات. ويدخل في هذا الصنف من اللغات اللغة الصينية وكثير من اللغات البدائية.

٢- اللغات الإلصاقية

وهي اللغات الوصلية التي تمتاز بالسوابق واللواحق التي تربط بالأصل فتغير معناه وعلاقته بما عداه من أجزاء التركيب ، وأشهر هذه اللغات اليبانية والتركية وبعض اللغات البدائية.

٣- اللغات التحليلية

وهي اللغات المتصرفة التي تتغير أبنيتها بتغير المعاني وتحلل أجزاؤها المترابطة فيما بينها بروابط تدل على علاقاتها. ومن هذه اللغات السامية وفي طليعتها العربية وأكثر اللغات الهندية-الأوربية.

هذا ربما تقسيم من ناحية تصرف كلماتها، وهناك تقسيم آخر من ناحية علاقاتها بعضها ببعض. وقد قسم مكس مولر (Mex Muller) اللغات الإنسانية إلى ثلاث فصائل[2]، هي:

الفصيلة الهندية الأوربية

Indo-Eropa

وتشمل هذه الفصيلة ثماني مجموعات لتباعد واختلاف البيئات اللغوية والأحداث التاريخية، وهذه المجموعات هي : (أ) مجموعة اللغات الآرية منها اللغات الهندية الحديثة والفارسية والكردية والأفغانية؛ (ب) مجموعة اللغات الأرمنية؛ (ج) مجموعة اللغات الإغريقية التي تشمل اللغات اليونانية القديمة والحديثة؛ (د) مجموعة اللغات الألبانية؛ (ه) مجموعة اللغات الإيطالية التي تشمل اللغات الأسكية والرومانية واللاتينية؛ (و) مجموعة اللغات الكلتية، وقلت هذه اللغات لغلبة اللغة الفرنسية والإنجليزية والأسبانية ومع هذا قد بقيت في كثير من اللهجات المحلية بإرلندا وويلز وغرب فرنسا؛ (ز) مجموعة اللغات الجرمانية التي تشمل لغات ايسلندا والدينمرك والسويد والنرويج والهولند واللغات الألمانية؛ (ح) مجموعة اللغات البلطيقية السلافية، وتشمل اللغات الروسية والتشكية والصربية الكرواتية والبلغارية الحديثة وبعض اللغات في شرق أوربا.

الفصيلة الحامية السامية[3]

Afro-Asiatika/Hamito-Semitic

تشتمل هذه الفصيلة على مجموعتين من اللغات هما السامية والحامية. فتنقسم اللغات السامية إلى مجموعتين شمالية وجنوبية. ومن اللغات

السامية الشمالية الأكادية أو الأشورية واللغات الكنعانية (العبرية والفينيقية) واللغات الآرامية. ومن اللغات السامية الجنوبية: العربية واليمنية القديمة واللغات الحبشية السامية.

وأما اللغات الحامية فتنقسم إلى ثلاث طوائف، وهي: (أ) اللغات المصرية وهي المصرية القديمة والقبطية؛ (ب) اللغات البربرية وهي لغات السكان الأصليين لشمال إفريقية (طرابلس وتونس والجزائر ومراكش)؛ (ج) اللغات الكوشية وهي اللغات التي يتكلم بها السكان الأصليون للقسم الشرقي من إفريقية (سوى المنطقة الحبشية والمناطق السودانية) فتشمل اللغات الصومالية ولغات الجالا والبدجا ودنقله وغيرها.

الفصيلة الطورانية **(Turani)**

وتشمل هذه الفصيلة عددا من اللغات التي لا تدخل في نطاق إحدى الفصيلتين السابقتين كاللغات التركية والتركمانية والمغولية والمنشورية وما إلى ذلك.

واللغة العربية من أحدث اللغات السامية سنا[4] ، وفق الرأي الراجح ، كما أن جزيرة العرب هي المهد الأول للشعوب السامية ، ومنها هاجروا إلى الأماكن الخصبة المجاورة.

واللغة العربية تفوقت على كل اللغات السامية في النهوض بخصائص تلك اللغات، لاحتفاظها بعناصر قديمة ترجع إلى السامية الأم أكثر من احتفاظ غيرها من الساميات بها، ففيها من الأصوات ما ليس في غيرها وفيها ظاهرة الإعراب وصيغ كثيرة لجموع التكسير وغير ذلك من ظواهر لغوية[5]، وبهذا صارت هي أقرب اللغات السامية إلى اللغة الأم . ومن ثم فهي أساس المقارنات اللغوية[6]. وثمة ألفاظ تستعملها اللغة العربية اليوم عمرها أكثر من أربعين قرنا[7] ثم إن ظاهرة الإعراب في العربية أقدم من القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد[8].

فسبب نهوض اللغة العربية بخصائص اللغات السامية أكثر من سائر اللغات السامية الأخرى هو وجودها في مناطق منعزلة عن العلم وبعيدة عما يطرأ عليه من تقلبات وتغيرات يكثر حدوثها وتختلف نتائجها اختلافا مستمرا في البلدان العمرانية. و كانت صلاتها بالعالم الخارجي بشكل ضيق غير مؤثر. وحتى الحروب التي قد يمكن اعتبارها عاملا للاتصال لم تكن تتعدى حدود الجزيرة العربية، فإن اتسعت فهي تتسع بشكل منقطع لا يعين على الاتصال ولا يسهل الاكتساب أو التأثير.[9]

ومن سنن الله تعالى أن كل لغة بعد أن تصل إلى القمة أن تتدحرج عنها، فليس بعد الطلوع إلا النزول وليس بعد الكمال إلا النقصان. فشأن العربية كشأن غيرها من اللغات، فبعد أن وصلت أعلى قمتها قبل الإسلام كادت تتدحرج، ولكن نزول القرآن منعها عن ترجلها عن صهوة قمتها. وقد جاء

القرآن بعدة المكاسب للغة العربية إما بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر.

مكاسب اللغة العربية بنزول القرآن الكريم

١. مكاسب بطريق غير مباشر

لقد بعث الله في العرب رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم معاني ذلك الكتاب العزيز وسنة المصطفى فبعث النبي العربي رسولا ، لأن من حكمة الله تعالى ألا يبعث رسولا إلا بلسان قومه. وقد أيد الله رسله بمعجزة من جنس ما نبغت فيه أمة تلك الرسل كي تكون الآية غالبة والحجة بالغة والمعجزة قائمة . ولما كانت عبقرية العرب قبل الإسلام قد تجلت في لغتهم وفي كونهم أئمة البيان وفرسان الكلمة فكانت معجزة المصطفى فيهم آية بيانية ومعجزة بلاغية تجلت في القرآن الكريم الذي انفرد دون سائر الكتب السماوية الأخرى بكونه معجزة ومنهجا في آن واحد. وقد كان كل رسول من قبل تحدى المناوئين بمعجزة مادية محسوسة لا بآتي من كتابه السماوي.

لقد تدرج القرآن الكريم مع العرب بعامة ، كفار قريش بخاصة ، وقد عرفنا مكانتهم الرفيعة في مجال البيان ، أن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم فعجزوا،[١٠] وأن يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا،[١١] وأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا.[١٢] فنفهم أن تحدي القرآن الكريم للعرب بذلك قد حمل العرب وبخاصة قبيلة قريش على التفكر في هذا التحدي وإلى التدبر في إعجاز هذا الكتاب العزيز. ومن هنا نعلم أن للقرآن الكريم دورا بارزا في حفظ اللغة العربيةلدى أولئك المناوئين، ولكن بطريق غير مباشر، لأن كل الذين تجاوبوا مع التحدي القرآني من أولئك المناوئين عنوا بلغتهم العربية عناية بالغة وبذلوا منتهى وسعهم وطاقتهم كي يأتوا من القول بما يشفي نفوسهم مما تجد من رغبة في الاستجابة للتحدي القرآني. وسواء أعلن هذا الحمقي عن سخافتهم كمسيلمة الكذاب أم أخفوها فإن القرآن الكريم حمل الجميل بطريق غير مباشر على العناية بلغتهم العربية،[١٣] وفي ذلك مظهر من مظاهر حفظ القرآن الكريم اللغة العربية.

٢. مكاسب بطريق مباشر

كان العرب قبل الإسلام محصورين في جزيرتهم التي أشبعت كل رغبة لديهم ولم يدر بخلد واحد منهم أن يخرج من جزيرته إلا من أجل التجارة وما في حكمها، ولم يدر بخلد جماعة منهم أن تخرج إلا من أجل الهجرة الجماعية بسبب شظف العيش وقوة الحياة.[١٤]

ولكن بعد الدعوة الإسلامية واستمرار الفتوحات في كل اتجاه انتشر المسلمون في أنحاء الأرض يحملون الإسلام ولغته ولم يمض قرن واحد من

الزمان على وفاة المصطفى حتى كانت دولة إسلامية ممتدة دون انقطاع. فالمجاهدون في سبيل الله حملوا دين الإسلام معهم كما حملوا القرآن الكريم وسنة رسوله، وذلك معناه أن لغة هذه الدولة هي العربية.

وقد عني المسلمون بجمع اللغة من مظانها خدمة للقرآن والسنة. وبعد الاطمئنان إلى فهم كل من القرآن والسنة أصبح جمع اللغة غاية في ذاته. ولما كان القرآن والحديث سبب العناية باللغة العربية وبتراثها الشعري والنثري كانا سببا في ظهور علوم ذوات علاقة بهما كعلوم اللغة والسيرة وعلوم القرآن والحديث. وقد اشترطت تلاوة القرآن والحديث الالتقاء المباشر بالشيخ والتلقي المباشر عنه ضمانا لسلامة نقل العلم وتلقيه. وقد صبغت هذه الحقيقة طريقة نشر العلم في تلك الدولة العربية الإسلامية. ومن هنا كان الاهتمام بالإجازة،[١٥] ولا يكون ذلك إلا بعد اطمئنان الشيخ إلى كفاءة تلميذه وتمكنه من العلم وبخاصة في مجال النطق الصحيح لمفردات العلم، قياسا على تواتر رواية القرآن والسنة. وبسبب هذه العناية الكبرى تأخر في المرتبة نقل العلم عن طريق الكتب مباشرة، وهي الطريقة التي تسمى بالوجادةز وهكذا كان الاهتمام كبيرا بصحة نطق المعلومات وصحة نقل العلم والنطق به.

كان تراث العرب في الجاهلية منطوقا مسموعا بأكثر منه مقروءا مكتوبا. وبالاسلام أصبح للعلم حظه الموفور من الكتابة والقراءة، وكان المنعطف الذى بدأ عنده حظ العلم فى الاسلام من الكتابة والقراءة تدوين القرآن الكريم للمرة الثالثة والأخيرة على عهد عثمان بن عفان الخليفة الثالث الراشد رضى الله عنه وجمع القرآن الكريم على حرف واحد من الأحرف السبعة سنة خمس وعشرين هجرية، وإرسال عثمان رضي الله تعالى عنه عددا من نسخ المصحف الشريف في صورته الأخيرة إلى عدد من العواصم الاسلامية.[١٦]

حفظ القرآن الكريم اللغة العربية منطوقة مسموعة

وإن حفظ الله تعالى القرآن الكريم الذى نزل بلسان عربي مبين إلى يوم الدين معناه حفظ اللغة العربية بحفظ الله تعالى لهذا الكتاب العزيز. قال تعالى : إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون. ويشتمل حفظ القرآن لهذه اللغة المنطوقة مادته ومخارج حروفه وتراكيبه.

١- حفظه مادة اللغة العربية

إن عناية المسلمين في فجر الاسلام بالقرآن الكريم ليس عليها من مزيد تلاوة وحفظا وتدبرا وعملا بتعاليمه وبتعاليم السنة المطهرة المبينة للقرآن الكريم. ولما كان فهم معانى

القرآن الكريم أمرا ضروريا بين يدي ترتيل القرآن الكريم وحفظه وتدبره، ولما كان القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب ووفق طرائقها فى التعبير حقيقة ومجازا، لذا كانت العناية بلسان العرب كبيرة من قبل العلماء الذين عنوا بالقرآن الكريم، وفي مقدمة هؤلاء عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما الذي كان يكثر من الاستشهاد بكلام العرب، وبخاصة الشعر الذي كان ديوان العرب وسجل أمجادها ومفاخرها. فلنأخذ مثالا مما جرى بين نافع بن الأرزق وعبدالله بن عباس من الحوار، وكان مع نافع صاحبه نجدة بن عويرم؛ إذ قال نافع لابن عباس: نريد أن نسألك شيئا من كتاب الله عز وجل، فتفسره لنا وتأتينا بمصداقه من كلام العرب، فإن الله عز وجل إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين. فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما. فقال نافع: أخبرني عن قول الله تعالى (عن اليمين وعن الشمال عزين) قال العزون حلق الرفاق. قال وهل تعرف العرب ذلك؟ قال نعم أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول:

فجاؤوا يهرعون إليه حتى # يكون حول منبره عزينا[١٧]

ومن هنا كانت العناية بجمع اللغة العربية من مظانها شعرا ونشرا. حتى إذا كان من العلماء الاطمئنان إلى فهم القرآن الكريم أصبح جمع اللغة غاية في ذاته. والحقيقة أن جمع اللغة وترتيبها خدمة للقرآن الكريم كان دائما وأبدا الهدف الحقيقي والأولي الذي لازم كل المؤلفين في مجال اللغة جمعا وترتيبا وتأليفا. ذلك ما يعود إلى القرن السابع الهجري.

وهكذا حفظ القرآن الكريم مادة اللغة العربية من ناحية المفردات والصيغ، مظهرا من مظاهر حفظه لهذه اللغة الشريف من زاوية كونها منطوقة مسموعة.

٢- حفظه مخارج حروف اللغة العربية

فيما يتصل بحفظ القرآن الكريم مخارج أصوات الأبجدية العربية أو مخارج حروفها سبق أن ألمحنا إلى أن اللغة العربية نهضت بحروف الأبجدية السامية نهضة عظيمة، وحافظت على سائر حروفها في الوقت الذي تخلت فيه سائر اللغات السامية عن بعض الحروف، ونعتقد أن من أسباب نهوض اللغة العربية بحروف الأبجدية السامية انعزال العرب الطويل في جزيرتهم، وكونهم أرباب الفصاحة وأئمة البيان، واعتمادهم على الإنشاء واستعمال الأذن وحاسة السمع بأكثر من القراءة واستعمال العين وحاسة البصر. وربما كان لطيفا أن نشير إلى أن اللغات السامية رتبت حروفها في هذه الكلمات الست : أبجد هوَّز حُطِّى كَلَمُنْ سَعُفَصْ قَرَشَتْ، وأن اللغة العربية تزيد بهذه الحروف التي تسمى بالروادف والتي تجمعها هاتان الكلمتان ثَخَذْ ضَظَغ، وأن الترتيب الحالي لحروف الهجاء العربية ا،

ب، ت، ث، الخ إنما قام به نصر بن عاصم الليثى التابعي الذى مات بالبصرة سنة ٨٩ ه — ٧٠٨ م، وإنما قام نصر بن عاصم[١٨] بهذا الترتيب بعد استحداث الاعجام وربما كان لطيفا أيضا أن نشير إلى أن أحد عشر حرفا من الأبجدية العربية ليس لها ما يقابلها في الأبجديات الأوربية.

ومن المعروف أن التلقي المباشر عن الشيخ أهم شروط تلاوة القرآن الكريم ، وذلك لأن القرآن الكريم لا تصح قراءته إلا بجودا. والتجويد يقوم على دعامتين اثنتين، إتقان نطق الحروف وإحسان معرفة الوقوف، ولا يتم شيء من ذلك ولا يتحقق إلا عن طريق التلقى المباشرة عن الشيخ.[١٩]

إن القرآن الكريم بنزوله حفظ مخارج حروف الأبجدية العربية وضمن لها الخلود لأن الله تعالى تكفل بحفظ هذا الكتاب العزيز إلى يوم الدين. وفى حفظ الله تعالى الكتاب العزيز حفظ لمخارج حروف الأبجدية العربية عن أي تغيير أو تبديل. وإن هذا الثبات في مخارج الحروف تعرفه اللغة العربية وحدها لأنها اللغة الشريفة التي اصطفاها الله تعالى بإنزال آخر كتبه وأشرفها فيها.

٣- حفظه تراكيب اللغة العربية

إن للعرب علم متعلق بلغتهم، وقد ولد هذا العلم كاملا بحيث لم تكد القرون التالية تضيف إليها شيئا جديدا، وذلك هو علم النحو. فعلم النحو إنما وضعت مبادئه أساسا من أجل طرد اللحن عن القرآن الكريم ، وكان القرآن الكريم قد نزل وفق طرائق العرب في تعبيرها شعرا ونثرا، ولما كان المصطفى صلى الله عليه وسلم الرسول العربي قد أوحى الله تعالى إليه السنة المطهرة كما أوحى القرآن الكريم فقد كان الحديث النبوي الشريف بلسان عربي كما كان القرآن الكريم. وإن علم النحو أو علم قواعد اللغة العربية إنما استقي من القرآن الكريم وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم والتراث العربي. وبسبب ثبات المصدر الأول أعنى القرآن الكريم ثبتت السنة المطهرة وثبت التراث العربي إلى يومنا هذا وإلى يوم الدين بإذن الله تعالى. ولما كان وضع النحو في كتاب سبويه شاملا وكان الثبات من سمات النبع الذي استقى علم النحو منه مادته كان الثبات من سمات قواعد علم النحو أو قواعد اللغة العربية، ومن هنا صح القول بأن علم النحو ولد كاملا وبأن اللغة العربية وحدها تعرف ولادة العلم الكامل.[٢٠] وهكذا يتبين حفظ هذا الكتاب العزيز تراكيب اللغة العربية.

حفظ القرآن الكريم اللغة العربية مكتوبة مقروءة

وكان كلما نزل على المصطفى صلى الله عليه وسلم شيء من القرآن أمر واحدا من كتبة الوحي بتدوين ما أوحى الله تعالى به إليه ووضعه في مكانه من

المصحف بناء على توجيه جبريل عليه السلام عن رب العزة، وكان للنبي صلى الله عليه وسلم زهاء أربعين كاتبا، وكان القرآن الكريم يكتب في ضوء الحديث الصحيح : أنزل القرآن على سبعة أحرف ويرجح أن المراد بالسبعة الكثرة وليس العدد ذاته، كما يرجح أن المراد بالحديث التنبيه إلى إرادة الله تعالى اليسر بعباده لا العسر استجابة لدعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم ربه أن يخفف على أمته التي لا تستطيع أن تقرأ القرآن على حرف واحد: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل : إني بعثت إلى أمة أميين فيهم الشيخ الفاني والعجوز الكبيرة والغلام. قال : فمرهم فليقرءوا القرآن على سبعة أحرف. قال الترمذي : حسن صحيح. وفي لفظ : فمن قرأ بحرف منها كما قرأ. وفي لفظ حذيفة (بن اليمان) فقلت يا جبريل: إني أرسلت إلى أمة أمية، الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفاني الذي لم يقرأ كتا با قط. قال : إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، وكان ما يكتب من القرآن يجمع في بيت المصطفى صلى الله عليه وسلم . ولم يكن في الامكان جمع القرآن بين دفتي مصحف لأن القرآن الكريم كان يتزل تباعا عليه صلى الله عليه وسلم حتى قبيل وفاته. وتوفي صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم غير مجموع بين دفتي مصحف ولكنه كان مكتوبا كله، وولي أبو بكر الخلافة، واشتد القتل في حفاظ القرآن الكريم الكريم يوم القيامة، وخشي عمر رضي الله تعالى عنه أن يضيع شيء من القرآن الكريم بموت الحفاظ فاقترح على أبي بكر جمع القرآن الكريم بين دفتي مصحف، وشرح الله تعالى صدر أبي بكر لذلك فكلف زيد بن ثابت الأنصاري بجمع القرآن الكريم لأن زيدا أحد الحفاظ وأحد كتبة الوحي وصاحب العرضة الأخيرة للقرآن الكريم على المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وتعاون زيد وعمر رضي الله تعالى عنهما على جمع القرآن.[٢١] وتم لهما ذلك خلال عام واحد، ولما كان فتح اليمامة وقتل مسيلمة الكذاب سنة اثنتي عشرة للهجرة فذلك معناه أن جمع القرآن الكريم تم سنة اثنيني عشرة للهجرة.

وهكذا يتبين أن كل المصاحف في الدنيا حتى يومنا هذا وإلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها بإذنه تعالى — انها تكتب وفق كتابة االمصحف الامام سنة خمس وعشرين هجرية.[٢٢]

وهكذا يتبين كيف اكتسب الخط الذي كتب وفقه المصحف الامام منزلته الرفيعة لأن هذا الخط اقترنت به القراءات المعروفة وكلها تدخل في الحرف الواحد الذي كتب به المصحف الشريف للمرة الأخيرة على عهد عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه، وفي هذا الخط كتب التراث الاسلامي كله.

وبهذا أخذ التراث العربي الاسلامي بالاسلام دين العلم يكتب وفق

الطريقة التي يكتب بها المصحف الامام ويستوى في ذلك التراث العربي وتراث سائر الشعوب الاسلامية التي احتضنت هذه الكتابة وكتبت فيها تراثها كي يمكن للمسلمين جميعا قراءة النسخة الواحدة من المصحف الشريف، وقراءة التراث الاسلامي كله الذي كتب في هذا الخط العثماني. بقي علينا أن نقرر أن هذا الخط العثماني كان من حيث الجوهر ثابتا لم يطرأ عليها أي تعديل. أما من حيث الشكل وحده فقد لبى هذا الخط حاجات الأمة الإسلامية فقد كان أداة مرنة في أيدى الخطاطين الفنانين من المسلمين.

ولكن مع ثبات هذا الخط العثماني فإن العلماء في الصدر الأول مازالوا يخافون من وقوع اللحن حين قراءة هذا الكتاب العظيم بسبب خلوه من رموز الحركات. فبحثوا عن طريقة تعصم من يتلو القرآن الكريم من الوقوع في اللحن. وكان أبو الأسود الدؤلي أول من فكر في وضع رموز للحركات يضبط بها الرسم القرآني الذي كان يخلو من هذا الرموز.[٢٣]

لقد كان الخط الاسلامي ولا يزال مظهرا متميزا من مظاهر فن الزخرفة الاسلامية، وكان تطور هذا الخط من حيث الشكل باهرا، وكان تطوره من زاوية كتابة المصحف الشريف فيه، وهكذا ظهرت الأنواع المختلفة من الخط كالكوفي والرقعة والنسخ والديواني والثلث وما إليها، إن كل هذه الأنواع متعلقة بالشكل وحده أما لب الخط وجوهره فلم يمسس بشيء بسبب ارتباط هذا الخط في جوهره بالمصحف الشريف وبالقراءات، ويضاف إلى الشكل الذي راعى الناحية الجمالية، ثمة إضافة خارجية أو إضافتان خارجيتان راعتا هذه المرة المعنى بأكثر من الشكل، وهاتان الاضافتان الخارجيتان هما الاعجام، بمعنى إزالة العجمة بنقط بعض الحروف، والضبط بالشكل.[٢٤]

لقد أثبت الخط العثماني الثابت من حيث الجوهر المتطور من حيث الشكل أنه خير وعاء لنقل المصحف الشريف والسنة النبوية المطهرة من ناحية، والتراث اللاسلامي كله، العربي وغير العربي من ناحية أخرى. وكان هذا الخط من أهم مظاهر وحدة الشعوب الاسلامية.

الختام

نستخلص من هذا البحث الوجيز أنه لاشك أن للقرآن الكريم دورا مهما في حفظ اللغة العربية نطقا وكتابة إما بطريق مباشر وإما بطريق غير مباشر. فتحدي القرآن الكريم مناوئيه دفعهم على ترقية قدرتهم على اللغة، في هذا لم يحفظ القرآن الكريم اللغة العربية مباشرة بل على أيدي مناوئيه.

الهوامش

١- صبحي الصالح ، دراسات في فقه اللغة ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٩)، ط ١٢ ، ص ٤٥ – ٤٦

٢- عبد الصبور شاهين ، في علم اللغة العام ، (بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٦) ، ص ١٨١-١٨٨. انظر كذلك عامر رشيد السامرائي ، آراء في العربية، (بغداد: مطبعة الإرشاد، دت)، ص ٣٨-٤٢

٣- هذا مصطلح حديد قدمه Greenberg بعد بحوث طويلة، انظر Harimurti Kridalaksana, **Kamus Linguistik**, (Jakarta: Gramedia Pustaka Utama, 1993), h.xxxiii

٤- محمود فهمي حجازي ، اللغة العربية عبر القرون ، (القاهرة : دار الثقافة ، ١٩٧٨) ، ص ٢١ ولكن بعض الباحثين وفي طليعتهم العلامة السهوزن Olshausen رأوا أن العربية أقدمها سنا ، انظر صبحي الصالح، المرجع السابق، ص ٤٨

٥- أميل بديع يعقوب ، فقه اللغة العربية وخصائصها ، (بيروت: دار الثقافة الإسلامية، دت)، ص ١١٣

٦- محمود فهمي حجازي ، المرجع السابق ، ص ٣٥

٧- نفس المرجع ، ص ٢٤

٨- نفس المرجع ، ص ٢٨

٩- عامر رشيد السامرائي ، **المرجع السابق**، ص ٤٣

١٠- **الإسراء** ٨٨

١١- **هود** ١٣-١٤

١٢- **البقرة** ٢٣

١٣- حسن محمد باحودة، **القرآن حافظ للغة**، **في المنهل** العدد ٥٠٤ المجلد ٥٤ ، جدة، ١٩٩٣ ، ص ١٠

١٤- **نفس المرجع** ، ص ١١

١٥- الإجازة هي أن يجيز الشيخ تلميذه في نقل علمه عنه

١٦- **نفس المرجع** ، ص ١٢

١٧- جلال الدين السيوطي الشافعي، **الإتقان في علوم القرآن**، (بيروت: دار الفكر، دت)، ج ١، ص ١٢١

١٨- إبراهيم أنيس وآخرون، **المعجم الوسيط**، ج ١ ، ص ١

١٩- حسن محمد باحودة، **المرجع السابق**، ص ١٦

٢٠- **نفس المرجع** ، ص ١٧

٢١- جلال الدين السيوطي الشافعي، **المرجع السابق**، ص٥٩

٢٢- انظر صبحي الصالح، **مباحث في علوم القرآن**، (جاكرتا: ديناميكا بركة أوتاما، دت)، ص ٧٨

٢٣- ممضان عبد التواب، **فصول في فقه العربية**، (قاهرة: مكتبة الخانجي، دت)، ص ١١٣

٢٤- حسن محمد باحودة، **المرجع السابق**، ص ١٨